ولي فقيه سنّي

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

كشفت مبادرة قدمها محسوبون على شق راشد الغنوشي رئيس حركة النهضة الإسلامية، للالتفاف على قانون داخلي والتمديد في فترات زعامة الغنوشي، وجود رغبة دفينة لدى الحركات الإسلامية في الارتقاء بقادتها إلى مرتبة المرشد الذي لا يتنحى إلا بوفاته، بقطع النظر عن كبره أو وجود قيادة يمكن أن تملأ المكان وتعطي نفسا جديدا وخبرة.

وعرض عبدالكريم الهاروني، رئيس مجلس الشورى، ورفيق عبدالسلام (صهر الغنوشي وذراعه اليمنى) مناورة لتأجيل المؤتمر لسنتين أخريين بدل موعده نهاية العام الحالي، على أن يتم اجتراح صيغة قيادية تقوم على الفصل بين الرئيس كمنصب تنفيذي ومنصب الزعيم كقيادة دائمة تمتلك لوحدها أولوية الترشح للمهمات السياسية الكبرى (رئاسة الجمهورية، رئاسة الحكومة، ورئاسة البرلمان).

والهدف المباشر لهذه المناورة هو تلهية المعارضين (قائمة المئة وجمهورها) باللعب على الوقت وإغراقهم في مبادرات شكلية، ودفعهم إلى الاكتفاء بردود الفعل عليها، بدل التمسك بالمؤتمر في موعده واشتراط عدم ترشح الغنوشي للقيادة، بسبب وجود قانون داخلي يحدد مدة رئاسته بدورتين وحيدتين، وسبق أن وافق عليه الغنوشي نفسه.

لكن الأهم في هذه المبادرة أنها تكشف محدودية خيار التغيير عند الإسلاميين، خاصة لدى حركة سعت للترويج لنفسها كحزب مدني ليبرالي بعد أن قالت إنها فصلت بين الدعوي والسياسي وقبلت بالشراكة في الحكم خلال السنوات العشر الماضية.

ولا يتعلق الأمر هنا بعدم القدرة على التغيير لاعتبارات تكتيكية مثل غياب قيادات وازنة يمكن أن تقود حركة النهضة في مرحلة قادمة.

حركة النهضة في تونس لم تتخلص من خلال مراجعاتها وممارساتها من ثقافة الزعيم الملهم الذي يعرف أسرارا لا يعرفها غيره تجعله أقرب إلى ولي الفقيه الذي لا راد لرأيه وقراره

كما أن مناخ الديمقراطية يسمح بتجريب القيادات وتأهيلها داخليا وخارجيا، وهو ما يظهر أن الأزمة تتعلق بالفكر وليس بالواقع، ذلك أن تجارب الإسلاميين في العقود الأخيرة كشفت عن بقاء أغلب الزعماء في أماكنهم إلى أن تتم تنحيتهم تحت تأثير موانع مثل الموت أو الاعتقال والمحاكمة لمدد طويلة، وبعض الحركات والجماعات تحتفظ بالزعيم في منصبه رغم غيابه الطويل.

ويؤكد هذا أن الديمقراطية لدى الإسلاميين مفرغة من محتواها، وأنهم يميلون لفكرة الشورى غير الملزمة التي تسمح للزعيم أو المرشد بسماع المحيطين به ثم اتخاذ القرار بقطع النظر عن وجاهته وحججه أو كونه يمثل أغلبية أو أقلية، ويعود القرار له وحده.

وهذا يزيد من الشكوك في مزاعم بعض الحركات الإسلامية تبني الديمقراطية والقبول بنتائج الانتخابات والاحتكام للقوانين، ولعل أفضل اختبار لهذا التغيير هو طريقة إدارة هذه الحركات من الداخل، وإنْ كانت تحتكم للديمقراطية في حسم الخلاف أم تناور بالقوانين من خلال تخريجات كتلك التي عرضها الهاروني وعبدالسلام.

ومن الواضح أن حركة النهضة لم تتخلص من خلال مراجعاتها من ثقافة الزعيم الملهم، الذي يعرف أسرارا لا يعرفها غيره تبيح له اتخاذ القرارات ولا يسأل عنها، وتجعله أقرب إلى الولي الفقيه لدى الشيعة الذي لا راد لرأيه وقراره.

الديمقراطية اختبار على الأرض، وتظهر في التفاصيل الصغيرة، ومن وراء الشعارات الكبرى التي بات الإسلاميون يطلقونها ويناقضونها بشكل علني لتبرير مسار البراغماتية في وضع فرض عليهم إكراهات كبيرة تدفعهم إلى تبني التغيير الجذري والتخلي عن مفاهيم الشريعة والدعوة، والتطبيع مع مدونة قانونية وحقوقية دولية تفرض قيما وسلوكيات تتناقض مع هويتهم الأولى.

وهذه التنازلات هدفها الرئيسي الحصول على قبول دولي والاعتراف بالإسلاميين كشريك أو وكيل حكم في هذه المنطقة أو تلك.

لماذا يتخلى الإسلاميون عن الشريعة ويتنازلون عن الدعوي ويتمسكون ببقاء المرشد، مع أن ثقافة المرشد تتناقض تماما مع "المراجعات" وتبني "مدنية الدولة" و"الاحتكام للديمقراطية".. إنها لعبة السياسة.

وفي وضعية الغنوشي، يثير التمسك ببقاء المرشد مشكلة ثانية هي الامتداد الخارجي للحركة ذات الخلفية الإخوانية، وكان الغنوشي هو مفتاح هذا الامتداد لكونه ماسكا بأسرار العلاقات الخارجية، وبينها الحظوة التي يحصل عليها في قطر وتركيا ومناطق إسلامية أخرى.

هل ستسقط مفاتيح العلاقات الخارجية مع الجماعات والمنظمات الإسلامية بسقوط الغنوشي من رئاسة النهضة؟ هل "الإشعاع الخارجي" للغنوشي لا يتم سوى بصفته رئيسا للتنظيم الإسلامي في تونس؟ أليس ذلك ممكنا من خلال التحرر من صفته التنظيمية والإفادة من خلال دوره الاعتباري السياسي والفكري، وهو الدور الذي كان هو نفسه يأمل أن يقوم به من خلال تصريحات كان يطلقها قبل المؤتمر العاشر؟

سيحتاج الإسلاميون في مسار بناء الهوية المحلية إلى تفكيك ملف العلاقات الخارجية للنهضة، متى كانت ضمن التنظيم الدولي ومتى خرجت وأسباب الخلاف الذي دفعها إلى المغادرة، هل الأمر يتعلق بسلطة القرار أم بسعي الحركة لبناء هوية محلية تتناقض مع الفكر الإخواني الرسمي الذي يطبع نفسه بالتشدد وتحريم مراجعة الثوابت، لكنه على الأرض، وفي سياق السعي للتمكين يفعل ما يناقضه في كثير من الأحيان.

وسيظهر هذا التقييم إلى أي مدى تقدر حركة النهضة على تقديم تنازلات حقيقية لوضع أسس هويتها الوطنية، خاصة في ظل غياب مدونة فكرية تؤسس لهذا التحول سوى تصريحات متناثرة هنا وهناك لإرضاء الداخل والخارج، فيما يستمر الخطاب بين جمهور "النهضة" بنفس الثقافة القديمة التي تنظر إلى المراجعات كتنازلات ظرفية، وما تزال تتبنى الهوية العابرة وتحدد المواقف الخارجية من الدول على ضوء علاقتها بالإخوان المسلمين، الجماعة الأم في مصر.

إن سقوط الزعيم كقيمة تاريخية (بمفهوم القائد الحامل للأسرار) مقدمة ضرورية للقطع مع هوية التمدد الخارجي ذات الخلفية الإخوانية، المزوجة بصراع الأفكار الكبرى في القرن الماضي، والباحثة عن بناء دولة عابرة للانتماء الجغرافي.

هل ستكون معركة تنحية الغنوشي عن رئاسة النهضة انتصارا للهوية المحلية وتثبيت المراجعات كأمر واقع، أم أن الأمر مجرد صراع على المناصب، خاصة أن الغنوشي هو بوابة التعيينات داخل الحكومة ومؤسسات الدولة ولا يقدر خصومه على الحصول على مزايا لهم ولمقربين منهم.

مولد المصطفى واستلهام النهضة الروحية

الأمير الحسن بن طلال
رئيس منتدى
الفكر العربي

في شهر ربيع الأنوار، وفي عصرنا هذا الذي طغت فيه النزعات المادية والصراعات الدموية، تزداد حاجتنا إلى استحضار القدوة الإنسانية الملهمة التي تعيد إلينا الأمل والرجاء وتساعدنا على إعادة التوازن والانسجام وتحقيق الوئام في مجتمعاتنا الإنسانية.

أحيانا يكون الشعراء أكثر قدرة من المفكرين والفلاسفة على التعبير عن جمال الفكرة وجلالها، وهنا أذكر قول أحمد شوقي في مدح النبي الأعظم:

بِكَ بَشَّرَ اللَّهُ السَماءَ فَزُيِّنَت/ وَتَضَوَّعَت مسكا بِكَ الغَبراءُ/ وَبَدا مُحَيّاكَ الَّذي قَسَماتُهُ/ حَقٌّ وَغُرَّتُهُ هُدى وَحَياءُ/ وَعَلَيهِ مِن نورِ النُبُوَّةِ رَونَقٌ/ وَمِنَ الخَليلِ وَهَديِهِ سيماءُ/.

ذكرى ميلاد المصطفى جديرة بأن تكون مناسبة تحتفل بها الإنسانية جميعا، فمن عرف النبي حق المعرفة، أدرك أنه "رحمة للعالمين"، وهذا ما شهد به المنصفون من غير المسلمين.

يقول تولستوي "إن النبي محمد من عظام المصلحين، الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة، ويكفيه شرفا أنه هدى أمة برمتها إلى الحق".

ينظر القرآن إلى الأنبياء باعتبارهم منظومة واحدة متصلة، يُصَدِّقُ بعضها بعضا، ولاسيما في ما يتصل بالمبادئ الكليّة والقيم الأخلاقية، "قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"، (آل عمران: 84).

فالبحث عن الجوامع والمشتركات، يمثل سمة أساسية للشخصية النبوية. ومن أهم الجوامع التي نادى بها الإسلام، هي مكارم الأخلاق، "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق". فنحن جميعا متفقون على حاجتنا إلى التضامن الأخلاقي كما أشار قداسة البابا في رسالته الأخيرة "كلنا إخوة".

الأنبياء هم معلمون مُلْهمون، يخاطبون العقل والوجدان ويسعون لتزكية النفوس والارتقاء بالأخلاق "كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ"، (البقرة: 151). ويصف النبيُّ محمدٌ (صلى الله عليه وسلم) نفسه بأنه مُعلّم "إن الله لم يبعثني معنِّتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما مُيسرا"، (رواه مسلم).

لم تلغ النبوة بشرية الأنبياء وإنما ارتقت بها وزادتها جمالا وكمالا، ولعل الفهم العميق لقوله تعالى "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ"، (الكهف: 110) يؤكد أن الطبيعة البشرية ستبقى حاضرة بعد أن يلامس الوحي الإلهي قلب الرسول، وهذا المعنى ينسجم والمعاني العميقة لتكريم الخالق للإنسان.

لم يكن محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) مفكرا مثاليا يحلم بمدينة فاضلة، وإنما كان قائدا ومصلحا اجتماعيا أنقذ أمته من صراعاتها الداخلية، وأرشدها إلى طريق الهداية والأخوة والرشاد "وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا"، (آل عمران: 103).

ولم تكن دعوته قومية أو قَبليّة، وإنما كانت دعوة عالمية أنارت للإنسانية معالم الطريق، وقد جسّد الرسول ما كان يدعو إليه ويؤمن به من مقولات في واقع اجتماعي، فهو يمثل حالة نادرة في تاريخنا البشري، حيث الجمع بين عمق الفكرة، وبراعة القدرة على إدارة شؤون الدولة.

في ذكرى مولده، لا بدّ من رسالة لأمته بأن تنبذ الفرقة والنزاع، وهذه الدعوة موجهة كذلك لجميع شعوب العالم، خاصة ونحن نحتفل بالذكرى الخامسة والسبعين لتأسيس الأمم المتحدة، آن الأوان أن نذكر عالمية الإنسان، وأن العالم يعاني من معضلة ضعف القيم، وهنا تبرز أهمية مراجعة الذات، واستثمار التجارب والمبادرات الإنسانية مثل حلف الفضول الذي سبق البعثة، والذي تعاهدت فيه قبائل قريش "ليكونُنَّ يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يُرد إليه حقه"، والذي قال عنه الرسول (صلى الله عليه وسلم) "ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت".

وهنا ينبغي أن نؤكد أن التصرفات الاستفزازية المتكررة، بالإساءة إلى الأديان والأنبياء عليهم السلام، هي محفز على صناعة الكراهية، وإشعال وقود التطرف والفتن بين الشعوب.

ومن هنا، فإن العقلاء مكلفون بأن ينهضوا لتجريم الإساءة للأنبياء بمواثيق دولية، حماية للوئام المجتمعي، ومنعا لأسباب الكراهية والفتن.

وفي مقابل الإساءة إلى شخص النبي التي تطفو على السطح بين الفينة والأخرى، يجد بعض المسلمين أنفسهم منساقين لرد الإساءة بالإساءة، وهنا لا بدّ أن ندرك بأن خير وسيلة للدفاع عن النبي العظيم، إنما يكون بتقديم القدوة الحسنة، وبيان الشمائل النبوية للإنسانية. كما ينبغي على المسلمين في العالم أن يوسعوا علاقاتهم ويحسنوا لجيرانهم وأن يدعموا الأصوات المنصفة والمدافعين عن السلم الأهلي والسكينة بين الناس.

ومع إيماننا بأن محاولات الإساءة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، لن تمسّ قدره الشريف، فالعظماء والعقلاء لا يقابلون الإساءة بالإساءة وإنما بالعلم والبيان لمن لا يعرف، وبالحكمة والإهمال لمن يسعى إلى الإساءة لأجل الإساءة، وهنا نذكر قوله تعالى "وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا"، (الفرقان: 63).

إن المهمة الأولى للعقل المسلم اليوم، تتمثل في إعادة اكتشاف العمق الإنساني لرسالة الإسلام، وهذا يتطلب تجاوز كثير من المقولات الشائعة في فضائنا الثقافي، من نحو مقولة تصادم الحضارات وصراع المعتقدات، والانتقال إلى حوار الثقافات، والبحث عن القيم الإنسانية المشتركة، والتكامل المعرفي والعرفاني.

لا بدّ لنا أن نتساءل: كيف يمكن لأتباع الأديان أن يسهموا في مواجهة التحديات التي تعترض حياة البشرية، وماذا يمكن لهم أن يفعلوا أمام انتشار الأوبئة والأمراض والكوارث المختلفة، سواء الكوارث الأساسية الناتجة عن قوى الطبيعة، أو الكوارث التي يمكن التنبؤ بها مثل المجاعات والأوبئة، أو الكوارث العارضة، كالكوارث الصناعية والنووية، أو الكوارث المُتعمّدة كالحروب والنزاعات وما تخلفه من ملايين اللاجئين والمشردين؟

وإنَّ استلهام العِبرة من الهجرة النبوية في معاناة وآلام الهجرة واللجوء، يدعونا اليوم ونحن نشهد ارتفاعا كبيرا في أعداد اللاجئين والمهجرين، إلى الأخذ بالأسباب والتخطيط بمنهجية مبنيّة على رؤية واضحة للحالي والمستقبل من أجل درء تلك المعاناة والتخفيف منها، ولقد سعيت – وما زلت – خلال عملي مع اللجنة التوجيهية للمجلس العالمي للاجئين والهجرة إلى العمل على توعية الناس ومناقشة الإجراءات المطلوبة لبناء نظام إنساني عالمي للتعامل مع الهجرة والنزوح القسري التي يعاني منها البشر من جميع أنحاء المعمورة، وهنا أقول: لا بدّ من تفعيل القانون الدولي الإنساني ليصبح قانونا نافذا للسلم الداخلي والخارجي له آثاره الملموسة في عالمنا اليوم وغدا.

لم يأتِ الأنبياء ليزيدوا الناس شقاء وصراعا، ووفق هذا النهج جاء المصطفى عليه الصلاة والسلام رحيما متواضعا، عطوفا يرأف بخلق الله، ويُحب لهم ما يحبّه لنفسه من الخير "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (رواه البخاري ومسلم).

وجاء في الإنجيل الشريف (فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ، افْعَلُوا هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضا بِهِمْ) (متى 7: 12).

ما نريده اليوم، هو تَدَيُّنٌ يُجَسِّدُ محبة الله، وهي عبادة تخرج من ضيق الحرف والبحث عن الخلاف، إلى سعة البرّ والإيمان، والعمل الصالح، وهنا نقول إنّ الزكاة التي جعلها الإسلام ركنا من أعظم أركانه، تمثل شكلا عمليا للبرّ وتحقيقا للعدالة الاجتماعية التي تحقق التضامن الاجتماعي، وتعمّق الارتباط بين الجوانب الروحية والأخلاقية من جهة، والجوانب الاجتماعية والاقتصادية من جهة ثانية.

وفي الختام نقول: كان ميلاد النبي أحمد للحياة حياة، فهل نُجدِّد حياتنا بهديه، أم نفني أنفسنا بالبعد عن نهجه، دعونا نوجد للإسلام ذلك الفعل الحضاري المبدع والمرصد الحضري الذي يليق بمكانته في عالم القيم.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk